

البيئة الصحراوية وأثرها في توجهات الحياة الاقتصادية:

دراسة تاريخية

د. نعيمة طيب بوجمعة

جامعة ابن خلدون / تيارت

الملخص:

تعتبر البيئة الصحراوية أو الصحراء تحد صعب للإنسان الذي يروم العيش فيها ، لأن مؤشر الحياة فيها يعتمد على الإمكانيات الطبيعية الموجودة بها لتوفر الماء والمراعي، إضافة إلى ضرورات اجتماعية تربط بين المجتمعات مثل: التماسك والحركية. وهذه الخصائص جعلت طبيعة الحياة في الصحاري واحدة سواء الصحراء العربية أو صحراء الملثمين. من حيث تماثل أساليب العيش التي أساسها الرعي وتربية الماشية والإبل والتجارة، لذا البيئة الصحراوية هي التي حددت توجهات الاقتصاد فيها. ومن هنا جاءت فكرة البحث "البيئة الصحراوية وأثرها في توجهات الحياة الاقتصادية: دراسة تاريخية"، والذي من خلاله سنقوم بتسليط الضوء على بعض من جوانب هذه البيئة ومردود ذلك على الانسان فيها والحياة الاقتصادية في الصحراء معا.

Abstract:

The desert environment or the Sahara is considered a difficult challenge for the person who wants to live there, because the index of life depends on the existing natural potential such as the availability of water and pasture, In addition to the necessities linking these communities such as: cohesion and mobility. These characteristics have made the nature of life in the desert (either the Arab desert or Tuareg desert) the same. In terms of similar livelihoods, based on grazing, livestock rearing, camel and trade. It is therefore the desert environment that has guided the economy of the region. Hence the idea of this research entitled "The desert environment and its impact on trends in economic life: A historical study", and through which we will highlight certain aspects of this environment and its impact on the life of the world. man and the economics of the sahara.

الكلمات المفتاحية: الصحراء، البيئة الصحراوية، الحياة الاقتصادية، الإنسان، الرعي.

تمهيد:

قد لا يختلف اثنان على أن تطور وازدهار أي مجتمع مرتبط بشكل وثيق بمدى استقرار وقوة منظومته الاقتصادية، هذه المنظومة واستقرارها بدوره مرتبط بالجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية لذلك المجتمع. وفي هذا يعلق الدكتور جواد علي قائلا: "للقوف على أسس اقتصاد أمة من الأمم، لابد من الوقوف على طبيعة إقليمها من جو وأرض، فللطبيعة أثر كبير في تحديد خيارات تلك الأمة وفي تكوين سماتها وعاداتها: من ناتج زراعي أو حيواني أو صناعي، ثم في فقرها وغناها"⁽¹⁾. وهذا الأمر ينطبق على المجتمع الصحراوي، فهي على الرغم من تمتعها بخصوصية البيئة القاسية والصعبة، لم تكن عاملا معرقلا إنما على العكس، هذا الأمر جعل الإنسان في الصحراء⁽²⁾ يتكيف مع خصوصيات تلك المعطيات وليس العكس كما يحصل مع الإنسان في بيئات أخرى⁽³⁾.

لقد تأثرت حياة السكان في الصحاري⁽⁴⁾ بمؤثرات يمكن حصرها في مسألتين: الأولى البيئة الطبيعية، والثانية الموقع الجغرافي، وأعني هنا موقعها من طرق المواصلات والتجارة، فعلى سبيل المثال موقع شبه الجزيرة العربية في طرق التجارة الدولية بين الشرق الأقصى والهند من جهة وعالم البحر المتوسط من جهة أخرى، أعطى لها من الأهمية ما يعوض فقدانها الجوانب الاقتصادية الأخرى⁽⁵⁾، ونفس الأمر يقال عن صحراء المثلثين فوقوعها بين بلاد المغرب وبلاد السودان جعلها محطة وصل مهمة بينهما خاصة مع سيطرة سكانها على أهم طرق المواصلات والمسالك التجارية بها واحتكارهم لتجارة الملح خلال العصر الوسيط.

البيئة الصحراوية بين القسوة والتكيف:

تعد البيئة الصحراوية واحدة من أشد البيئات قساوة على الإنسان، وقساوتها هذه تدعو السكان إلى العمل الذي يتحدى الظروف الطبيعية، وأن كانت في الوقت ذاته توجي لهم بالأمل في قهر الصعاب، فالصحراء تتحدى من يقطعها. ومن هناك كانت المسألة تتطلب من الإنسان في الصحراء تحمل قساوتها والتكيف معها بما يجعله قادرا على العيش بها.

ومصطلح الصحراء يطلق على أي بيئة شديدة الحرارة وقليلة المطر، وليس من السهل وضع تعريف دقيق لمصطلح الصحراء، ولكننا في حال اعتماد المعارين (المناخي والنباتي)، فهي كل منطقة لا تسقط فيها الأمطار أكثر من 250 ملم سنويا، وتخلو أو يكاد ينذر بها النبات⁽⁶⁾، وتمتاز بمناخها القاري، حيث تكون حارة نهارا وباردة ليلا، كما تتميز بشدة التبخر بسبب ارتفاع درجة الحرارة، وتربتها تغلب عليها الطبيعة الرملية المفككة الفقيرة في خصوبتها مما ينعكس سلبا على الغطاء النباتي الذي يغلب عليه نمو الشجيرات وما دون ذلك⁽⁷⁾.

وهذا يعني أن الصحراء هي أرض منبسطة، تتميز بعدم وجود النبات فيها، وظروف المناخ القاسي فيها تعادي الحياة، سواء للنبات، أو الحيوان، أو الإنسان. من خلال ما سبق، فإن البيئة التي يحيى فيها الإنسان العربي منذ القدم هي البيئة الصحراوية، فالصحراء التي تشكل ما نسبته 88-90 % من مساحة البلاد

العربية، والتي تفاوتت من بلد إلى آخر. ومن أشهر الصحاري العربية، نذكر: الصحراء الكبرى⁽⁸⁾ في المغرب العربي، وصحراء جزيرة العرب، وبادية الشام في المشرق العربي⁽⁹⁾.

ومن أكثر العوامل تأثيراً في الظروف المناخية في الصحاري العربية وقوعها في منطقة الضغط العالي، التي يتوسطها مدار السرطان، مما يعرضها للرياح الهابطة المتضاغطة التي تسبب السخونة والجفاف، لذا تتسم الصحاري العربية بالارتفاع الشديد في درجة الحرارة، وانخفاض الرطوبة بها، الأمر الذي يرفع من معدلات التبخر والنتح⁽¹⁰⁾. وهذا يعني أن الإنسان العربي عبر تاريخه تعايش مع هذه الطبيعة، وغدا جزءاً منها، حتى أن مفهوم البداوة⁽¹¹⁾ عد سلوكاً اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً.

على العموم، تأقلم الإنسان العربي على مر العصور مع الحياة الصحراوية القاسية الحارة والباردة، ورغم صعوبة العيش فيها، وصعوبة توفير مقومات الحياة الأساسية، إلا أن الإنسان تكيف معها، فبنى بيوت الشعر، وبعضهم بنى بيوت الطين التي تمنع عنهم الحرارة، وتقيهم من البرد، وعمل السكان الصحراويون في مهنة الرعي وتجارة الحيوانات. وفي ذات الوقت، تكيفت الحيوانات الصحراوية مع عوامل المناخ القاسية، مع الحرارة الشديدة وقلة المياه، ومن الحيوانات التي اعتبرت رمزاً للصحراء والصبر فيها الجمل،

ومن هنا، فإن البيئة الصحراوية تحد من حجم المجتمعات، لأنها تعتمد على الامكانيات الطبيعية وتوفر الماء والمرعى بها، إضافة إلى ضرورة التماسك والحركة. وهذا الحال، فرض على السكان التكيف مع البيئة الصحراوية ومع أجوائها، وهو ما مكّهم من اكتساب صفات وخصال التجاوب مع تلك الظروف الصعبة إلى أبعد حد، فنجد البدوي يمتاز بالرشاقة والمرونة والقوة البدنية، وهي الصفات التي جعلت يستطيع العيش بلا قلق أو خوف في مجاهيل الصحراء⁽¹²⁾. ومن هذا المنطلق، نجد أن طبيعة الحياة في الصحاري واحدة. فالبداوة أي تشابه الأعراف والقيم، وتمائل أساليب العيش وأسسها، كما أسلفنا سابقاً، الرعي وتربية الماشية والإبل، وتكون المراعي عادة مشاعة وهناك استثناءات، وقد تكون المراعي حصى للقبيلة. ولا تظهر طبقات اجتماعية لأن الملكية مهما اتسعت تبقى في نطاق محدود⁽¹³⁾.

وبناء عليه، نجد أن إنسان الصحراء⁽¹⁴⁾ بما جبل عليه من فطنة وأخلاق عالية قد تكيف مع هذا الواقع، فكانت الصحراء جزءاً منه يعيش في ثنائها بلا ملل أو كلل. وهذا التلازم بين الإنسان وصحرائه خلقت تناعماً سحرانياً بينهما لا يمكن أن يتلمسه إلا من عاش بالصحراء في واقعه وخياله. وبما أن الإنسان هو ابن بيئته⁽¹⁵⁾، فلننجد أن الإنسان في الصحراء أخذ يتكيف مع بيئته متأثراً بها ومؤثراً فيها، قدر المستطاع. وهذا التلازم خلق نظاماً إيكولوجياً متكامل البنية انعكس على طبيعة وتوجهات الحياة الاقتصادية في الصحراء⁽¹⁶⁾.

وإن أهم ما يميز صحاري العالم العربي⁽¹⁷⁾ طابع العزلة والانقطاع وهذا راجع إلى الظروف البيئية التي هي عليها. وعلى الرغم من ذلك فإنها شهدت، كما أشرنا من قبل تأسيس مجتمعات بشرية كيفت أحوالها مع الظروف المناخية الصعبة المحيطة بهم. والصحاري العربية هي تلك الأراضي المدارية وشبه المدارية التي تقع في مهب الرياح التجارية الجافة، فيما بين خطي عرض 14-34 شمالاً تقريبا، في قارتي آسيا وإفريقيا، وتشمل الصحراء الكبرى وبادية الشام وشبه الجزيرة العربية. ومناخها جاف وحار، فلا يزيد المتوسط السنوي للتساقط على 5 مم، ويتباين التساقط من جهة لأخرى، ويشهد القيط صيفا بين (40-50 مئوية)⁽¹⁸⁾. وتؤكد

على تكامل صورة الصحاري العربية وتوابعها، نجد أن الجمل انتقل من الصحراء العربية في شبه الجزيرة العربية إلى الصحراء الكبرى، وفي هذا كتب الدكتور الناني ولد الحسين يقول: "أنه من المرجح أن يكون الجمل قد استجلب إلى بلاد المغرب من الجزيرة العربية أثناء الهجرات التي انطلقت منها باتجاه تلك المنطقة خلال العصور الغابرة، ومما يؤيد هذه الفرضية تشابه الجمل في المنطقتين وأن الاسم البربري له مستعار من اللغة العربية"⁽¹⁹⁾.

من خلال ما سبق، يتضح لنا أن الماء، كمصدر أساسي للحياة في الصحراء، هو مصدر تحديد الملكية وليس ملكية الأرض، لأن من دونه لا يمكن أن تكون هناك حياة طبيعية. وبناءً عليه، نجد أن الإنسان الصحراوي بذل جهوداً كبيرة من أجل التكيف مع الصحراء⁽²⁰⁾.

من هنا، نجد أن البدوي في طبعه، وهي تركيبة تتكيف مع واقعه وتستجيب لها، هو محب للتجوال والتنقل والترحال المستمر لأنه يجد فيه ضالته، وهو أحد أسباب العيش عنده، وعليه قوامه ونظامه. ولهذا نجد أن السفر بالنسبة للبدوي له فوائد كثيرة، منها كسب التجارب وجلب المكاسب. لذا نجد أن البداوة بمفهومها العام هي نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان فيطلب الرزق حول مراكز مؤقتة يتوقف مدى الاستقرار عليها على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها من ناحية، وعلى كفاية الوسائل الفنية المستعملة في استغلالها من ناحية أخرى، وعلى مدى تواجد الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر فيها من ناحية ثالثة⁽²¹⁾.

ونتيجة الظروف الطبيعية التي كانت تحيط بسكان الصحراء، تمكنوا بالتدريج من إدراك أن التجوال أليق بهم، فهم لم يتقيدوا بفضاء محدد للإقامة والعيش، واقتنعوا أن الاستقرار في الحضر⁽²²⁾ يفسد عليهم صحتهم ويورثهم العلل والأمراض⁽²³⁾. وهذا الاختيار والقناعة هي التي جعلت من سكان الصحاري يتبعوا نمطاً اقتصادياً هندسوا عليه الحياة الاقتصادية وتفصيلها.

مفاصل الحياة الاقتصادية في الصحراء:

على العموم، لقد تكيف سكان الصحراء مع ظروفها، والتي لا يوجد فيها ما يبعث على النشاط الإنتاجي، وتمسكهم بالنشاط الرعوي كونه لا يكلف مجهوداً، وعاداتهم في التنقل المستمر جعلتهم يحتقرون الأعمال الزراعية وغيرها من الحرف والمهن التي يمارسها سكان الحضر ويستهنوا بمن يعمل بها⁽²⁴⁾. ونتيجة ذلك غدت عقيد البدوي في كل الأزمنة هي "الذل بالحرث، والمهانة بالبقر، والعز بالإبل⁽²⁵⁾، والشجاعة بالخيول"⁽²⁶⁾. ولهذا نراهم يتمسكون بالصحراء، يعيشون بين جنباتها الواسعة، تحت سقوف خيامهم، وبين حيواناتهم، يتنفسون هواءها العذب، ونسيمها العليل، يحمل بين هبوبه وحركاته الحرية والسيادة المطلقة⁽²⁷⁾.

من خلال ما سبق، نجد أن اقتصاد الصحراء يعتمد على مجالين أساسيين، وهما: تربية المواشي والنشاط التجاري، لا سيما الأخير الذي يعتبر من أهم المجالات التي كان يستند عليها الاقتصاد الصحراوي⁽²⁸⁾. وبناءً على ذلك، نجد أن أنماط المعيشة في الصحراء أخذت بعداً أحادياً ركز على ما تتوفر الصحراء من إمكانات⁽²⁹⁾. ومن أجل فهم الفعاليات المختلفة التي يقوم بها الإنسان في سبيل الحصول على الموارد الاقتصادية الضرورية لحياته ألزمنا بضرورة دراستها وتتبعها من أجل فهم أكبر وأعظم الشكل الآتي:

1. الزراعة والرعي:

تشير الكتابات الأثرية أن سكان الصحراء كانوا في فترات من تطورهم الاقتصادي يعتمدون على الزراعة كمصدر مهم من مصادر اقتصادياتهم. وأكدت هذه الحقيقة العثور على الدلائل التي تؤكد هذا القول في الكثير من المناطق الصحراوية ، ولكن بمرور الوقت تحديدا في الألف سنة قبل الميلاد أخذت الصحراء تتحول إلى أرض جرداء نتيجة انعدام المطر⁽³⁰⁾. وهو ما انعكس سلبا على توجهات الاقتصاد الصحراوي بالتدريج، ليتحول من الزراعة الى الرعي على سبيل المثال.

وبما أن الظروف الصعبة التي تتوفر عليها الصحراء جعلت نمط الحياة الاقتصادية لسكانها تأخذ بعدا ضيقا من الناحية الاقتصادية. وهذا راجع إلى جملة من المصاعب في مقدمتها: الوسط الطبيعي القاسي، المناخ الجاف القاتل، وبعد المسافة وتوغل الاراضي في مسالك مجهولة العواقب⁽³¹⁾. وهذه الصورة القاتمة جعلت من مسألة ممارسة الزراعة ضربا من ضروب التحدي والمغامرة. وترسخ في شخصية سكان الصحراء بكل وضوح، ونظرا لصعوبة ممارسة الفلاحة فقد نظر الانسان الصحراوي (البدوي) إلى العمل البدوي لاسيما الفلاحة نظرة دونية، فهم يأنفون ويعزفون عنها، لما تسببه من ربط صاحبها بالأرض التي يفلحها وبهذا تحد من حريته في التجوال والترحال عبر البوادي والصحاري⁽³²⁾، وأشار ابن خلدون في مقدمته إلى سبب عزوف البدوي عن الفلاحة، بالقول: "الفلح أصيل في الطبيعة وبسيط في منحاها، ولذلك لاتجده ينتحله أحد من أهل الحضر في الغالب ولا من المترفين، ويختص منتحله بالمدلة، وأن عواقب الاشتغال بآلة الزرع او تجاوز الحد الذي أمر به والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المغرم المفضى إلى التحكم واليد العالية، فيكون الغارم ذليلاً بئساً بما تتناوله أيدي القهر والاستطالة"⁽³³⁾. وهكذا، نجد أن الزراعة لم تكن بالمهنة التي تقترب من رغبات سكان الصحراء إلا بحدود ضيقة جدا، وفي هذا يعلق محمد سعيد القشاش على المسألة وهو يتحدث عن التوارق في الصحراء الكبرى، فيقول: "ويحتقر التوارق الزراعة ولا يحسنونها أصلا، ويعتبرونها من عمل العبيد والطبقات السفلى"⁽³⁴⁾.

وهناك من يرى بأن هذا الوصف لم يشمأ كافة سكان الصحراء الكبرى إنما تعلق بأعماق الصحراء وخاصة أجزاءها الخالية من الواحات، أي أن تلك الإشارات لا تعني على الإطلاق انعدام النشاط الزراعي بالمنطقة إذ توجد أنشطة زراعية في مناطق مختلفة من الصحراء. لذا نميز بين منطقتين زراعتين تختلف كل واحدة منهما عن الأخرى من حيث أنواع وحجم المزروعات، وهما:

أ- المنطقة الساحلية الواقعة في اقصى جنوب الصحراء الكبرى والتي تتركز فيها أهم الأنشطة الزراعية.

ب- المنطقة الشمالية والوسطى وهي منطقة صحراوية تتخللها واحات تمترس فيها أنشطة زراعية.

وهذا يعني أن ممارسة الزراعة كنشاط رئيسي لدى سكان المنطقة تأثر بالتناقض المطرد لكميات الأمطار المتساقطة وتراجعها من الشمال إلى الجنوب، وأن المناطق الزراعية كانت أكثر تقدما نحو الشمال عندما كانت كميات الأمطار تسمح بذلك، لذا غير السكان نمط حياتهم من النشاط الزراعي إلى النشاط الرعوي⁽³⁵⁾.

وعليه، فإن البدوي يجد الذل بالحرث والمهانة بالبقر والعز في الابل والشجاعة بالخيول، فاقتصاده وثروته هما في ماشيته اما بقية حاجاته التي لا يستغني عنها، هي الشعير والقمح والتمر والجلود وأجزاء خيمته والأسلحة التي يدافع بها فهي أشياء يحصل عليها من الحضري، فهو أولاً يأنف من صناعاتها وثانياً لا تتوافر موادها الأولية عنده في بيئته البسيطة⁽³⁶⁾. ولكن هذه الصورة القاتمة عن علاقة سكان الصحراء بالزراعة، لا تعني بأي حال من الأحوال القطيعة بينهما، إذ اعتمد اقتصاد الصحراء في جانب من مداخيله على الإنتاج الزراعي، كما هو الحال بالنسبة لزراعة النخيل⁽³⁷⁾ وما تقدمه من فوائد، إذ أجبر البعض من سكان الصحراء على الاهتمام بها والعمل على تطوير زراعتها⁽³⁸⁾. وعلى سبيل المثال، نجد أن صحراء الجزيرة العربية كانت فقيرة بالزراعة، ولكن هناك استثناءات في مناطق محددة، لمنطقة الطائف التي شبت بغوطة دمشق لكثرة أشجارها المثمرة⁽³⁹⁾.

وسكان الصحراء الكبرى هم أيضاً مارسوا شكلين من الزراعة، الأول موسمي يرتكز على مياه الأمطار التي تساقط على المنطقة خلال فصل الصيف كان يمارس في المنطقة الساحلية الواقعة على الأطراف الجنوبية للصحراء (في الوقت الحاضر لا يمكن ممارسة الزراعة فهمل لعجز التساقطات السنوية عن توفير القدر الكافي من المياه) أما المناطق الواقعة قرب نهر السنغال فإنها تتوفر على إمكانيات زراعية أحسن بسبب كميات الأمطار الهامة المتساقطة فضلاً عن فيضانات النهر وروافده، لذا كان السكان أكثر استقراراً وارتباطاً بالأرض⁽⁴⁰⁾.

والنوع الثاني سقوي يعتمد الري أي على مياه الآبار ويرتكز في الواحات الصحراوية والأطراف الشمالية للمنطقة الساحلية، فمارس السكان ما يعرف بزراعة الواحات التي كان النخيل يمثل أساسها، وقد جاء ذكر انتشار زراعة النخيل بكثرة في المصادر العربية خلال القرنين 10 و11 الميلاديين (كابن حوقل والبكري والحموي والمهلبلي) ما يعني أن وجوده كان قبل ذلك بكثير، فقد ذكر البكري "أودغست وهو بلد قائم العمارة مدينة كبيرة فيها أسواق ونخل كثير"⁽⁴¹⁾. ومن خلال شهادات الجغرافيين والرحالة فإن النخيل كان يرتكز أساساً في المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية والشرقية في حين لم يكن له ذكر أو أثر في المنطقة الجنوبية الغربية من صحراء الملثمين⁽⁴²⁾.

وعرفت الواحات في هذه المنطقة شكلاً آخر من الزراعة يتم تحت ظل النخيل أو إلى جانبه، وهو ما يعرف بالبستنة التي كانت تشتمل على أنواع مختلفة من المزروعات ذكر الوراق بعضها عند حديثه عن مدينة أودغست "...وحولها بساتين النخل ويزرع فيها القمح بالفوس ويسقى بالدلاء...وبها شجيرات تين يسيرة ودوال يسيرة أيضاً"، كما عرفت أيضاً زراعة نبات الحناء بها والذرة والذخن، وعلى الرغم من أهمية زراعة الواحات إلا أنها لم توفر للسكان الاكتفاء الذاتي من المواد الغذائية. وهكذا فإن سكان صحراء الملثمين لم يكونوا كلهم بداءة متنقلين خلال القرنين 8 و11م، وإنما كان بعضهم مستقراً أو أنصاف مستقرين اهتموا بنشاطات زراعية موسمية أو دائمة، في حين ركز البعض منهم في المناطق غير الصالحة للزراعة على الرعي أو الصيد البري أو البحري⁽⁴³⁾.

أما الرعي فهو السمة المميزة لحياة البادية والحرفة الرئيسة لسكان الصحراء والتي عليها اعتمادهم وممولهم، حيث يعتمد البدو على ما تنتجه ماشيتهم من ألبانها وصوفها ووبرها ولحومها، حتى أن هذه

المنتجات تدخل في لوازم حياتهم الضرورية في المسكن والملبس على سرييل المثال⁽⁴⁴⁾. فالرعي كان ومازال أساس الاقتصاد الصحراوي قديما وحديثا ، ويستفيدون من المراعي الواسعة ويفيدون؛ فهم يمسحون المساحات الواسعة من العشب الأخضر، ليقلبوها بفضل مواشيمهم إلى لبن سائل، ثم ينقلونه إلى أهل الحضر. والبدو يحبون التجول في البادية، رغم وحشيتها، فيمسحونها لإطعام الإبل والغنم التي هي سبب رزقهم، ومركز عنايتهم، فالبدوي مغرما بالنعجة ويتتبع مساقط الغيث ومنابت الكأ مصطحبا معه ماشيته⁽⁴⁵⁾. وكانت أيام الربيع أحسن أيامهم، وهي تعقب موسم المطر فينبت الكأ والعشب، وترعى الإبل والماشية⁽⁴⁶⁾.

ويعتبر الرعي أيضا عصب الحياة بالنسبة لسكان الصحراء الكبرى منذ فترات طويلة، بعد أن ساهمت الخصائص المناخية لها بشكل فعال في انتشاره بينهم، فتذبذب الأمطار وعدم تساقطها أحيانا في بعض النواحي خلال سنوات القحط أدى إلى سيادة الجفاف وبالتالي عدم الاستقرار، وهذه الوضعية لا تشجع على التمدن أو التقري ، وإنما التنقل الدائم بحثا عن الماء والكأ، لذا فضل سكان المنطقة تربية الإبل والأبقار والأغنام ثم الخيول والحمير بكميات أقل⁽⁴⁷⁾.

وإن اهتموا أكثر بتربية الإبل فكانت قطعانها تتركز أساسا في الأجزاء الشمالية والوسطى من غرب الصحراء، بسبب توافر المراعي المناسبة لها هناك، أما الأطراف الجنوبية للصحراء والمنطقة الساحلية فإنها إضافة للإبل التي كانت ترتادها في الصيف، عرفت الأبقار والأغنام لأنها أنسب مكان لها، لأنها تضمن لها استغلال الإمكانيات الطبيعية للمنطقتين خلال الفترات المناسبة، حيث تتوغل شمالا خلال فترة الأمطار لتعود إلى المنطقة الوسطى شتاء ثم تتوغل جنوبا داخل المنطقة الساحلية صيفا أين تقل المستنقعات ويتضاءل الذباب الضار بها، وتبقى إلى بداية الخريف لتعود إلى الشمال. أما الأبقار فكانت تشكل إحدى دعائم ثروات سكان غرب الصحراء الكبرى خاصة في الجنوب منها – خاصة في العصر الوسيط-، كما اهتموا أيضا بالخيول وإن كان بشكل أقل من اهتمامهم بالإبل، أما الحمير كانت تستخدم في نقل الماء من الآبار ونقل الاثقال على طول المسافات القصيرة بخاصة في المنطقة الجنوبية التي تكثر فيها المياه والأعشاب⁽⁴⁸⁾.

وبناء عليه، نجد أن الرعي لعب دورا مهما في حياة البدو، كما أن للحيوان هو الآخر دور مهم في تحديد المكانة الاجتماعية للإنسان الصحراء، ومنه يدفع المهر وتقبل الدية، وهو العملة المقبولة كذلك عند المقايضة. والثروة الحيوانية هي مصدر الفخر وسبب التكريم ومصدر الأدوار المبرزة والجاه⁽⁴⁹⁾.

2. الصناعة:

مثلما ذكرنا من قبل، فإن سكان الصحراء كانوا أبعد الناس عن ممارسة المهن التي ترتبط بمجال الانتاج الحرفي. وعليه، فهم أبعد الناس عن الصناعة بشكلها المتداول ، وفي هذا يقول ابن خلدون موضحا الأسباب التي جعلت البدو ليسوا بأهل صناعة: "والسبب في ذلك أنهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضاري وما يدعو إليه من الصنائع وغيرها والعجم من أهل المشرق وأمم النصرانية عدوة البحر الرومي أقوم الناس لأنهم أعرق في العمران الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه"⁽⁵⁰⁾.

ومن هنا، نجد البدو يحتقرون للصناعة ويعيبون المحترف فيها. وبناءً عليه، يتبادر إلى الأذهان التساؤل الآتي: إذا كان البدو محتقرين للصنائع إذا كيف يسدون احتياجاتهم من مختلف صور هذه الصنائع

؟! وللإجابة على هذا التساؤل، نستعين بما قاله ابن خلدون بلقنظاب: "...حتى يجلب إليه من قطر آخر" (51). وبهذا يلجأ البدوي في سد احتياجاتهم من مختلف الصنائع إلى أربابها وهم أهل الحضر، فالأمور الضرورية من العمران ليست موجودة كلها لدى البدو في باديتهم، فما يمتلكونه في موطنهم لا يتجاوز المنتجات الحيوانية من وبروصوف وشعر وألبان ومشتقاتها ولحوم وجلود وشحوم فضلاء عن التمر، أما الحضر فلديهم المنتجات التي يفتقر إليها البدوي لأن الفقر هي الصفة السائدة في بيئته (52).

ولكن سكان الصحاري لديهم نوع من الصناعات البسيطة البدائية كان لازماً عليهم ممارستها رغم كرههم للحرف والمهن والغرض منها سد احتياجاتهم، فهم عليهم تقع مسؤولية حياكة نسيج بيوت الشعر والأغطية والفرش والخروج والمزاود والمخالي والمراير والفود وهذه جميعها مصنوعة إما من الوبر أو من الصوف أو من شعر المعزى، كذلك صناعة البسط والأواني المنزلية البسيطة (53).

إذ يعد الاقتصاد البدوي اقتصاد كفاية، ينحصر هدفه في توفير الضروريات الأساسية لأنه يترك مسائل الإنتاج تمضي بشكل عفوي مع الطبيعة، والعمل والإنتاج في العرف البدوي ليسا جديرين بالرجل الشريف، فقد وجدوا في غزو القوافل (54) التجارية ومناطق الحضر والقبايل الأخرى سبيلاً لنمط الحياة عندهم (55). والغزو لا يقل ربحاً عن التجارة، ويكون بهجوم مجموعة من شراذم الصحراء على مجموعة من الناس قد تكون قافلة منعزلة أو يكون الغزو واسعاً على المحاربين للحصول على غنائم فهدفهم هو الحصول سلباً أو قسراً على مال يملكه غيره مع الحرص على تفادي الضحايا في القبيلة المعتدى عليها (56). ولابد من الإشارة هنا، إلى أن البدو ليسوا مجرد لصوص إنما جماعات منظمة إدارياً تفتقر إلى المقومات الاقتصادية لجذب في الأرض المتروكة إذ لم يكن هدفهم في الغزو فقط الثأر، فالظروف القاسية هي التي أجبرتهم على السلب والنهب لأن حياتهم في الصحراء لا يتوفر فيها ما يسد احتياجاتهم، كما أن نظرهم للغزو تدل على المفخرة والشجاعة (57).

وبهذا التفجير العدائي بين البدو والحضر أو بين البداوة والاستقرار جعل من البدو مستخفين بحياة الحضر وعملوا على إهدار دم الاستقرار الذي يعيشونه، لهذا باتت الحاجة ملحة إلى فعل نشيط بين الطرفين في حسم التضاد بينهما، وهذا من منطلق حاجة كل طرف للآخر في سد احتياجاته ولكن بنوع من المسالمة بين الطرفين (58). فالبدوي يظل محتاجاً للحضري في سد ضروريات معاشه خاصة الصنائع التي يأنف عن احترافها، كما أن الحضري أيضاً يحتاج من الثروات الحيوانية التي يملكها البدوي ما يسد احتياجاته، لهذا خلقت حالة من المصالحة النفعية بين الطرفين وذلك للمحافظة على النفس ورغبة في المصالح الذاتية (59). وأهم السلع المصنعة التي يحتاجها البدوي في حياته، هي الأسلحة التي تعد أداة ضرورية جداً بالنسبة للبدوي يدافع بها عن نفسه وأهله فهو لا ينام إلا وسلاحه إلى جانبه لذا حرص على شراءه من أي مكان يجده فيه، كما ويتاجربه حيث يشتريه من صناعه ومن أسواق بيعه ويبيعه لمن يطلبه من أبناء قبيلته بسعر أعلى فيربح بذلك كثيراً، ولا تتوقف حاجته على الأسلحة فهو أيضاً يحتاج إلى بعض الحبوب كالقمح والشعير وكذلك يحتاج إلى بعض الملابس البسيطة وأدوات الطبخ التي لا يقدر أن يصنعها بنفسه (60).

3. التجارة:

لم يحترف سكان الصحراء التجارة بمعناها الواسع، فقد كانت لهم فعاليات بسيطة مع أهل الحضر عن طريق المقايضة أو مبادلة منتجاتهم، وقد يعملوا على نقل البضائع التجارية، أو يكونوا أدلاء للقوافل التجارية التي يتفقون مع أصحابها وفق محالفات محددة، أو يعملوا على حماية تلك القوافل التجارية من أي غزو في طريق مرورها في الصحراء الواسعة⁽⁶¹⁾.

وكان البدوي يحصل على احتياجاته عبر المقايضة أو المبادلة، وهي طريقة قديمة للتجارة عمل بها قبل أن يتم التعامل بالنقود من ذهب وفضة، وكانت طريقة جيدة لتصريف منتجات البدو بمنتجات الحضر عوضاً عن النقد. ومن أمثلة المقايضة ما كان يقوم به أهل الإحساء والقطيف بأن يجلبون التمر إلى وادي اليمامة، ويشتررون بكل راحلتين من التمر راحلة من الحنطة⁽⁶²⁾.

وكان سكان الصحراء الكبرى أي المثلثين يمثلون العمق الاقتصادي في تجارة القوافل عبر الصحراء، فأغلب القوافل التجارية المتجمعة من غدامس إلى تنبكت وباقي مناطق السودان الغربي كانوا يقودونها⁽⁶³⁾، وتعاملوا هم كذلك بالمقايضة مع تجار بلاد السودان والسواحل المتوسطية⁽⁶⁴⁾، فقد ظلوا لفترة طويلة يعتمدون على المقايضة كوسيلة وحيدة للتبادل التجاري، فكانوا مثلاً يبادلون الملح الحجري مقابل التبر المجلوب من بلاد السودان الغربي، كما اتخذوا أيضاً من التبر وسيلة للتبادل من دون أن يضربوا منه عملة، الأمر الذي مكّنهم من الدخول في مبادلات تجارية مع جيرانهم سمحت لهم باستيراد المواد التي لم ينتجوها بالقدر الكافي خاصة المواد الغذائية وبعض الألبسة، وهذا يعني أن سكان صحراء المثلثين قد عرفوا التجارة بكافة مستوياتها المحلية والإقليمية بفضل اتساع مساحة المنطقة وتنوع مناخها أدى على تنوع أنشطتها الاقتصادية مما شجعهم على المبادلات فيما بينهم، مما وفر لهم فرص العمل للكثيرين فعملوا قواداً للقوافل أو مرشدين أو حرساً لها ومشاركين في العملية التجارية باعتبارهم تجاراً⁽⁶⁵⁾.

وكانت المبادلة أو المقايضة في الصحراء العربية كذلك في المنتجات بين البدوي وسكان الحضر وفقاً لإطار حاجته لذلك، كالحاجة إلى الحبوب والسكر والقهوة ويحتاج إلى الأسلحة والسروج بأنواعها والملابس البسيطة⁽⁶⁶⁾. وهذا يكون للبدو تجارات بسيطة يتبادلون بها حاجاتهم، وهذه المبادلة تتم داخل أسواق في المناطق الحضرية يأتونها من كل حذب وصوب أو أسواقهم يقيمونها في الصحراء فعلى سبيل المثال نجد في صحراء الجزيرة العربية أسواق كثيرة⁽⁶⁷⁾، منها ما كان ثابتاً مع أيام السنة، ومنها ما كان موسمية تعقد في مواسم معينة فإذا انتهى الموسم انقضت⁽⁶⁸⁾، بينما نجد التوارق أو المثلثين بالصحراء الكبرى يتنقلون باتجاه أسواق الحضر من أجل تبادل سلعهم⁽⁶⁹⁾ مع سكانها بما يفيدهم وحياتهم في الصحراء⁽⁷⁰⁾.

وعلى الرغم من مزاوله بعض البدو للمبادلات التجارية لم تمنع قسم آخر منهم من أخذ حقه بالتهب والسلب، حيث استمروا مغيّرين على أراضي الحضر المحيطين بها، ولم يكن بوسع أحد أن يقود القوافل التجارية إلا جماعات قوية منهم لهذا هم يقومون بدوري المغيّر والتاجر⁽⁷¹⁾. ومع ميل البدوي للغزو والتهب والسلب وتهديده للممالك الممدنة على التخوم ومهاجمته لها من حين لآخر من جهة، ولحبه للوفاء بالوعد وشعوره بالشرف وتقديره للعهد الذي يصدر منه من جهة أخرى، جعله يتعامل مع من حوله من الأمم ويمهد

الطريق لتجارة واسعة منظمة فكان كثير من القبائل يحمون القوافل التجارية من إغارة قبائل أخرى في طريقها وفق الجُعل أو ما يعرف بـ "الإتاوة" يأخذونها منهم وكثيرا ما يردون الجُعل إذا تعدا عاد على القافلة ولم يستطيعوا رده⁽⁷²⁾.

الخاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع "البيئة الصحراوية وأثرها في توجهات الحياة الاقتصادية: دراسة تاريخية"، يمكننا أن نخلص لما يلي:

1. كان لطبيعة البيئة التي تسود الصحراء أثرها في حياة سكانها، فهي التي حددت مسارات الحياة الاقتصادية، فكيف الانسان الصحراوي حياته بما يتوافق ومعطيات البيئة الصحراوية.
2. إن طبيعة الحياة في الصحاري واحدة، وإن كانت هناك بعض الخصوصيات البسيطة لكل واحدة منها، وهذا ما نراه على سبيل المثال في صحراء الجزيرة العربية الصحراء الكبرى-صحراء الملثمين-.
3. نجد أن سكان الصحراء فضلوا حياة الرعي والتنقل أكثر من الزراعة والاستقرار، لأنهم يجدون في الزراعة ما يقيد حريتهم لأنها تربط مزاوليها بالأرض، إلى جانب اقتناعهم من أن الصناعة هي صفة أهل الحضرة، فهم لم يزاولوا أي صنعة لأنهم يعدونها شائنة كبيرة بحقهم، وهذا يدل على مدى بغضهم واحتقارهم لما يرتبط بهذه المهنة، لأن العمل والانتاج في العرف البدوي ليسا جديرين بالرجل الشريف، وإن كان سكان الصحراء الكبر لم يكونوا كلهم بدوا متنقلين، فكان بعضهم مستقرا أو أنصاف مستقرين اهتموا بنشاطات زراعية موسمية أو دائمة، في حين ركز البعض منهم في المناطق غير الصالحة للزراعة على الرعي أو الصيد البري أو البحري.
4. كانت التجارة مصدر رزق أساسي لسكان الصحراء ومصدر ثراء ووجاهة، لذا أقبل عليها سكان المنطقة فمنهم أرباب تجارة ومنهم الحراس والأدلاء، فدخلوا في أحلاف ومعاهدات تجارية ليؤمنوا طرق القوافل التجارية من أي اعتداء عليها، فأصبح البدوي ملتزم بشروط هذه المعاهدات لذا عمل دليلا لطريق للقوافل أو حارسا لتلك القوافل، ويتم تعويضه مقابل ذلك بما يحتاجه من سلع. كما بادلو ما يملكونه من الحيوانات ومنتجاتها بما يحتاجونه من سلع وملابس وحبوب وبعض الأواني المصنعة عند أهل الحضرة.
5. كما أن الجمل بدوره فرض عليهم حياة الشظف بسبب تواجده في القفار الفقيرة، فهم يعيشون حياة رعوية متأثرين بنوع الحيوان الذي يرعونه متنقلين معه خلف العشب والماء في المراعي المجاورة لهم ليؤمنوا له الغذاء، أما في صحراء الملثمين اعتمد البعض منهم إلى جانب الإبل على البقر والخيول والحمير.
6. تبين لنا أن البدوي اكتشف بفطرته أن التجوال أليق له، فهو لم يتقيد بسكنى المدن والأبنية لأنه وجدها عائق يحد من انطلاقته، ووجد أن الأبنية فيها ما يفسد الهواء والغذاء ويضر الصحة ويورث العلل والأمراض، فعهد على نفسه سكنى البوادي ليكون في صحة أحسن.
7. إن البيئة الصحراوية كان لها تأثير مباشر في تبلور آليات وأفكار اقتصادية لإنسان الصحراء يجب أن يلتزم بها ويحافظ عليها.

8. كانت لصفات المجتمع البدوي السياسية والاجتماعية أثرها في تحديد طبيعة وبنية الحياة الاقتصادية، فهو مثلما علمنا له مطلق الحرية في اختيار مكان للإقامة وتحديد الزمان للانتقال، وهذه القناعة مكنته من التغلب على المصاعب والتكيف بشكل كبير مع بيئته الصحراوية.
9. رغم صعوبة جغرافية المنطقة الصحراوية وقساوة مناخها إلا أن سكانها استطاعوا التأقلم معها، وتمكنوا من التكيف معها فاشتغلوا بالتجارة التي مكنتهم من ربط علاقات بين بعضهم البعض بفضل التجارة الداخلية، كما ارتبطوا بجيرانهم بفضل التجارة الخارجية أو الإقليمية، مما ساهم في توسيع وتنشيط اقتصادهم وخلق علاقات اقتصادية وسياسية معهم وحتى صلات ثقافية فيما بعد.

الهوامش:

1. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج: 7، بغداد، جامعة بغداد، ط2، 1993م، ص: 5.
2. العرب كانوا يسمونها أيضا القفروهي المفازة التي لا ماء فيها ولا نبات، وجمعها قفار. ينظر: الفيومي أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، تج: خضر جواد، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص: 511.
3. على غنازية، "تحدي الانسان للرمال وتطويع الصحراء للعمران البشري ... صحراء وادي سوف نموذجا"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع: 15، السنة 2011، غرداية، ص: 214.
4. لمعرفة المزيد عن أنواع وطبيعة الصحاري، ينظر: رأفت حسن عبد الوهاب ومنى عايش حسين السلامين، بيولوجية البيئة الصحراوية. الكويت، مؤسسة ذات الصواري، ط1، 2015، ص ص: 186-182.
5. عبد العزيز الدوري، أوراق في التاريخ والحضارة، الجزء الرابع: أوراق في التاريخ العربي الإسلامي. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2007، ص: 200.
6. سامح غرابية ويحيى الفرخان، المدخل إلى العلوم البيئية. عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2000م، ص ص: 147-146.
7. رأفت حسن عبد الوهاب ومنى عايش حسين السلامين، المرجع السابق، ص: 181.
8. تقع الصحراء الكبرى ضمن المنطقة دائمة الجفاف الموجودة على سطح الأرض، وهي حديثة العهد من الناحية الجيولوجية، للتفاصيل عن التكوين الجيولوجي لها، ينظر: يسري الجوهري، شمال إفريقيا. الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط6، 1980م، ص ص: 27-33.
9. خليف مصطفى غرابية، السياحة الصحراوية تنيمة الصحراء في الوطن العربي. الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2012م، ص ص: 27-28.
10. المرجع نفسه، ص: 53.
11. البداوة: نمط حياة مكنت البدو من أن يتجولوا في الأرض بحرية من غير عوائق، وبالتدرج تحول البداوة من نمط للحياة الاقتصادية ليتوافق مع نسق اجتماعي له خصائص معينة، ومن ثم يتحول إلى طريقة في الحياة تنطوي على قيم تشكل العلاقات وتحدد الاحكام والتوقعات في أنماط مجتمعية متميزة. كما يمكننا الاستعانة بواحد من التعريفات و التي تقول: "من أنها نمط الحياة القائم على التنقل والترحال الدائم للإنسان في طلب الرزق، أو حول مراكز مؤقتة يتوقف مدى الاستقرار عندها أو حولها، على كمية الموارد المعيشية المتاحة من ناحية، وعلى كفاية أو كفاءة الوسائل المستعملة في استغلال أو استثمار تلك الموارد من ناحية أخرى، وكذلك على مدى كفاية الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر للبدو من جهة ثالثة. ينظر: محمد عبده محجوب، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية (منهج وتطبيق)، الكويت، وكالة المطبوعات، ط2، د.ت.ن، ص: 12. محي الدين صابر ولويس كامل مليكة، البدو والبداوة ... مفاهيم ومناهج، منوفية، مركز تنمية المجتمع في العالم العربي، 1966م، ص: 8. وللاطلاع على بعض الآراء بخصوص مفهوم البداوة وأسباب وجودها، ينظر: عطا الله النوعي، القيم البدوية بين الثبات والتغير: دراسة ميدانية على عينة من شباب مدينة قصر الحيران. رسالة ماجستير غير منشورة في علم الاجتماع الحضري، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008م، ص: 58، 64.
12. إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1983م، ص: 35.
13. عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص: 201.

14. شكلت الصحراء في حياة العرب مظهرا أساسيا، ومحيطا حيويا تأقلمت به حياتهم، و أثر في أدبهم ولغة خطابهم التي ارتسمت فيها معاناتهم مع الصحراء، فعرفوها في معاجم اللغة، بالفضاء الشاسع الذي ينعدم فيه الماء ويفتقر للنبات، ويفتقد أدنى شروط الحياة، وتعددت المعاني المعبرة عنها، وبلغت نحو الأربعين اسما، فسميت القفر، الفلاة، البيداء والبرية، كما أطلقت عليها أسماء أخرى تدل على المخاطر الكبرى التي تؤول إلى فقدان الإنسان لحياته، ويكون الموت المحتم مصير المجتاز لرمالها، والذي يتمكن من عبورها بسلام يكون من الفائزين، وحينئذ أطلقوا عليها المفازة. ينظر: على غنابزية، المرجع السابق، ص: 215.
15. على سبيل المثال، يمتلك ساكنوا الصحراء إلى جانب حواسهم الخمس، حاسة يمكن تسميتها (حاسة الاتجاه)، وهي عبارة عن شعور قوي اكتسبه من طول الممارسة يهديه ويرشده في طريقه إلى المكان الذي يقصده، فضلا عن الذاكرة الصافية القوية. وهذه الحاسة والذاكرة يستخدمهما ليهتدي في بحار الرمال كما يستخدم الملاح البوصلة ليسترشد بها في المحيطات. ينظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 35.
16. الطاهر قدوري، "الطرق التجارية الصحراوية وامتداداتها في البحر المتوسط في العصر الوسيط". مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع: 15، سنة 2011، غرداية، ص: 88.
17. تنتشر الصحاري في غالبية البلاد العربية، كالصحراء الجزيرة العربية والصحراء الكبرى. حتى أنهما تعتبران امتداد لبعضهما البعض على الرغم من وجود البحر الأحمر فاصل بينهما. ينظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2009م، ص: 82.
18. جودة حسنين جودة، الجغرافية الطبيعية لصحاري العالم العربي دراسة جيومورفولوجية ومناخية تطبيقية في مجال التنمية الاقتصادية. الإسكندرية، مطبعة المعارف، 1997م، ص: 341.
19. الناني ولد الحسين، صحراء المثلثين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م. تق: محمد حجي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط1، 2007م، ص: 39.
20. الناني ولد الحسين، المرجع السابق، ص: 348.
21. علي العبيدي، "مفهوم البداوة قراءة تاريخية من خلال مقدمة ابن خلدون". مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع: 15، سنة 2011، غرداية، ص: 271.
22. الحضر: هم خلاف البدو، والحاضرة خلاف البادية، لأن أهل الحاضرة حضروا الأمصار والديار، والحاضرة الإقامة في الحضر. للتفاصيل ينظر: الفيروزآبادي. مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط. إ.ش: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005م، ص: 376.
23. علي العبيدي، المرجع السابق، ص: 271.
24. إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص: 35.
25. يحاول محمد صبري أو عيانة بيان تأثير ومكانة الإبل في حياة أهل الصحراء في البلاد العربية حين يقول: "ولنا أن نتصور حال بلاد العرب لو أن صحاريها كانت كمناطق السهوب الآسيوية التي تترجح فيها جحافل الخيول- لما كان العرب حداة أبل في معظمهم بل لأصبح الطابع الغالب على حياتهم وحركتهم طابع الفرسان الذين يستشعرون الاستعلاء على غيرهم ولكانت الجزيرة العربية مصدر هجرات من جحافل المخربين فوق خيولهم (مثل التتار والمغول وغيرهم) لا حداة إبل يسعون بالتجارة والفكر والفن بين جيرانهم

- على الشواطئ وفي مواقع الحضارة المستقرة من حول الجزيرة". ينظر: فتحي محمد أبو عيانة، دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب. الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1994م، ص: 4.
26. ريجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي: منذ نشوئه حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد التاسع للهجرة. ج: 1، بت: إبراهيم الكيلاني، دمشق، دار الفكر، 1998م، ص: 38.
27. محمد حمزة إبراهيم، شعراء مكة قبل الإسلام. بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.ن، ص: 34.
28. أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية. دمشق، دار الفكر، ط3، 1997م، ص: 282.
29. حاولت الدول في العقود الأخيرة العمل على توطين وإسكان البدو في اطار عملية متكاملة تتضمن تغير في الظروف الطبيعية والحضارية القائمة بهدف تنمية الموارد البشرية والاقتصادية ورفع المستوى المعيشي وتحقيق التكامل الوطني عن طريق إدماج المجاميع البدوية ذات الحضارة الرعوية التقليدية بصورة جماعية في الوحدة السياسية والقانونية والاقتصادية والفكرية للمجتمع الكلي. ينظر: جيلاني كوبيي معاشو، "الصحراء كفضاء للترحال مقارنة سوسيو انثروبولوجية للبدو الرحل". مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع: 15، سنة 2011، غرداية، ص: 182، 188.
30. ه.ج. هوغو، الصحراء قبل التاريخ، في كتاب: تاريخ إفريقيا العام، مج: 1، المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا، إشراف: ج.كي. زيربو، د.م.ن، 1980م، ص: 610.
31. علي غنايزية، المرجع السابق، ص: 214.
32. صلاح مصطفى الفوال، البداوة العربية والتنمية. مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ط1، 1967م، ص: 87.
33. ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار القلم، ط5، 1984م، ص: 394.
34. 1. محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى. د.م.ن، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء ط2، 1989م، ص: 75.
35. الناني ولد الحسين، المرجع السابق، ص: 43-44.
36. ريجيس بلاشير، تاريخ الأدب العربي منذ نشوئه حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد/ التاسع للهجرة، ج: 1، تع: إبراهيم الكيلاني، دمشق، الجامعة السورية، 1956م، ص: 33-34.
37. اعتبر ابن فضل الله العمري وجود النخلة في حياة المسلمين هبة الهية، حيث يقول: " شجرة مباركة، من عجائبها إنها لا توجد إلا في بلاد الإسلام. وهذا من جملة ما كرم الله به الإسلام، ف إن بلاد الحبشة والنوبة والهند، بلاد حارة خليقة بوجود النخل، ولا ينبت بها من شيء من النخل البتة". ينظر: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار في الحيوان والنبات والمعارف. تع: عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2، 1996م، ص: 319-320.
38. للإطلاع أكثر عن أهمية النخلة في حياة سكان الصحراء، ينظر: الطيب العماري، "النخلة في البيئة الصحراوية قيمة اقتصادية ورمزية سوسيوثقافية" مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع: 15، سنة 2011م، غرداية، ص: 41، 52.
39. أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص: 282.
40. الناني ولد الحسين، المرجع السابق، ص: 45.
41. البكري أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب. الجزائر، المطبعة الحكومية، ص: 167.
42. الناني ولد الحسين، المرجع السابق، ص: 45-46.

43. الناني ولد الحسين، المرجع السابق، ص: 48-49.
44. أحمد أمين، فجر الإسلام . بيروت، دار الكتاب العربي، ط 10، 1969م، ص: 4. محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص: 75.
45. محمد زهير مشارقة، الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي د.م.ن، ط1، 1988م، ص: 292.
46. أحمد أمين، المرجع السابق، ص: 4.
47. الناني ولد الحسين، المرجع السابق، ص: 36-37.
48. المرجع نفسه، ص: 40-42.
49. صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع البدوي التأصيل النظري القاهرة، دار غريب، 2002م، ص: 231.
50. ابن خلدون، المقدمة، ص: 404.
51. المصدر نفسه، ص: 404.
52. أنور الرفاعي، قصة الحضارة في الوطن العربي الكبير. دار الفكر، دمشق، 1973م، ص: 250.
53. كلوس كريزر وآخرون، معجم العالم الإسلامي . تر: د.ج. كتور، بيروت، المؤسسة الجامعية، ط2، 1998م، ص: 134.
54. القوافل: من سفره (قفولا) من باب قعد رجع والاسم (قفل) بفتحتين ويتعدى الهمزة، فيقال (اقفلته) والفاعل من الثلاثي (قافل) والجمع (قافلة) وجمع القافلة قوافل. ينظر: الفيومي، المصدر السابق، ص: 511.
55. أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص: 250.
56. ريجيس بلاشير، المرجع السابق، ج: 1، ص: 34.
57. عطا الله جليان، مجتمع قريش السياسي والديني في عام الفيل . بلا مكان نشر، مؤسسة دار الكتاب الحديث، ط1، 1987م، ص: 130-131.
58. صلاح الدين الشامي، الواقع الاقتصادي العربي قبل الاسلام. الاسكندرية، منشأة المعارف، 1983، ص: 54-52.
59. فيليب حتي، تاريخ العرب المطول. ج: 1، د.م.ن، دار الكشف، ط4، 1965م، ص: 28-29.
60. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام. ج 7، بغداد، جامعة بغداد، ط2، 1993م، ص: 308.
61. صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع البدوي، ص: 132.
62. جواد علي، المرجع السابق، ج: 7، ص: 229.
63. الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية ق 15 إلى بداية ق 18م. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1420هـ/1999م، ص: 228.
64. ينظر على سبيل المثال: ابن فضل الله العمري، المصدر السابق، ج: 1، ص: 140. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . تح: على المنتصر الكتامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1982م، ص: 674.
65. الناني ولد الحسين، المرجع السابق، ص: 53-55.
66. كلوس كريزر وآخرون، المرجع السابق، ص 134-135. محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص 75.
67. عن الأسواق وأنواعها وطبيعة نشاطها ينظر: محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص: 95-103.
68. محمد حمزة إبراهيم، المرجع السابق، ص: 34-36.

69. كان الملح واحد من أهم المواد التي يتاجرها أبناء الصحراء الكبرى، فكانوا يحملونها مباشرة إلى مناطق احتياجها أو يبيعه لتجار حواضر المغرب الإسلامي عند مرور قوافلهم بمناطق تواجد، فهم يحتكرون تجارته لأن جلال الممالح متواجدة في نطاق أراضيهم كمملحتي أوليل وتغازة. ينظر: الناني ولد الحسين، المرجع السابق، ص: 52-53.
70. محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص: 75. أنور الرفاعي، المرجع السابق، ص: 44.
71. دائرة المعارف الإسلامية. "مادة بدو"، إ: إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، مج: 6، القاهرة، مطبعة الشعب، د.ت.ن، ص: 490.
72. أحمد أمين، المرجع السابق، ج: 1، ص: 13.